

النهاية في غريب الأثر

{ حرث } (ه) فيه [احْرُثْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعْرِيشُ أَبَدًا] واعملْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَعْمُوتُ غَدًا] أي اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ فَخَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ . يقال حَرَّثْتُ وَاحْتَرَّثْتُ . والظاهر من مَفْهُومِ لَفْظِ هَذَا الْحَدِيثِ : أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِلْحَثِّ عَلَى عِمَارَتِهَا وَبِقَاءِ النَّاسِ فِيهَا حَتَّى يَسْكُنَ فِيهَا وَيَنْتَفِعَ بِهَا مِنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ كَمَا انْتَفَعَتْ أَنْتَ بَعْمَلٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ وَسَكَنَتْ فِيهَا عَمَرَهُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَطُولُ عُمُرُهُ أَهْوَى مَا يَعْمَلُهُ وَحَرَصَ عَلَى مَا يَكْسِبُهُ وَأَمَّا فِي جَانِبِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ حَثٌّ عَلَى إِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَحُضُورِ النَّيَّةِ وَالْقَلْبِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالْإِكْتِثَارِ مِنْهَا فَإِنَّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمُوتُ غَدًا يَكْثُرُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ . كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ [صَلِّ] صَلَاةَ مُؤَدِّعٍ] .

قال بعض أهل العلم : المراد من هذا الحديث غَيْرُ السَّابِقِ إِلَى الْفَهْمِ مِنْ ظَاهِرِهِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا نَدَبَ إِلَى الزُّهُدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقْلِيلِ مِنْهَا وَمِنَ الْإِنْهَامِ فِيهَا وَالِاسْتِمْتَاعَ بِلَذَّاتِهَا وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا فَكَيْفَ يَحْتَثُّ عَلَى عِمَارَتِهَا وَالِاسْتِكْتِثَارِ مِنْهَا وَإِنَّمَا أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَعْرِيشُ أَبَدًا قَلَّ حِرْصُهُ . وَعَلِمَ أَنَّ مَا يُرِيدُهُ لَنْ يَفُوتَهُ تَحْصِيلُهُ بِتَرْكِ الْحِرْصِ عَلَيْهِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ فَاتَنِي الْيَوْمَ أَدْرَكَتُهُ غَدًا فَإِنَِّّي أَعِيشُ أَبَدًا فَقَالَ E : اعْمَلْ عَمَلًا مِنْ يَطْنُ أَنَّهُ يُخْلَسُ فَلَا يَحْرِصُ فِي الْعَمَلِ فَيَكُونُ حَثًّا لَهُ عَلَى التَّرْكِ وَالتَّقْلِيلِ بِطَرِيقَةٍ أُنِيقَةٍ مِنَ الْإِشَارَةِ وَالتَّنْبِيهِ وَيَكُونُ أَمْرُهُ لِعَمَلِ الْآخِرَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ فَيَجْمَعُ بِالْأَمْرِ يَنْحَالَةً وَاحِدَةً وَهُوَ الزُّهُدُ وَالتَّقْلِيلُ وَلَكِنْ بِلَفْظَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ . وَقَدْ اخْتَصَرَ الْأَزْهَرِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ : مَعْنَاهُ تَقْدِيمُ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَعْمَالِهَا حِذَارَ الْمَوْتِ بِالْفَوْتِ عَلَى عَمَلِ الدُّنْيَا وَتَأْخِيرُ أَمْرِ الدُّنْيَا كَرَاهِيَةَ الْاِسْتِغْثَالِ بِهَا عَنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ .

(ه) وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ [احْرُثُوا هَذَا الْقُرْآنَ] أَي فَتَشْؤُهُ وَثَوْرُوه . وَالْحَرِثُ : التَّفْتِيْشُ .

(ه) وَفِيهِ [أَمْدَقُ الْأَسْمَاءِ الْحَارِثُ] لِأَنَّ الْحَارِثَ هُوَ الْكَاسِبُ وَالْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنَ الْكَاسِبِ طَبِيعًا وَاخْتِيَارًا .

[ه] وَمِنْهُ حَدِيثُ بَدْرٍ [اخْرُجُوا إِلَى مَعَايِشِكُمْ وَحَرَائِثِكُمْ] أَي مَكَّاسِبِكُمْ

وَاحِدٌهَا حَرِيثَةٌ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْحَرَائِثُ : أَنْضَاءُ الْإِبِلِ وَأَصْلُهُ فِي الْخَيْلِ إِذَا هُزِلَتْ فَاسْتُعِيرَ لِلإِبِلِ وَإِنْ مَا يُقَالُ فِي الإِبِلِ أَحْرَفَ فَنَذَاهَا بِإِلْفَاءٍ . يُقَالُ نَاقَةٌ حَرْفٌ : أَي هَزِيلَةٌ . قَالَ : وَقَدْ يُرَادُ بِالْحَرَائِثِ الْمَكَسِبُ مِنَ الْاِحْتِرَاطِ : الْاِكْتِسَابِ . وَيُرْوَى [حَرَائِيكُمْ] بِالْحَاءِ وَالْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ .

(س) وَمِنْهُ قَوْلُ مُعَاوِيَةَ [أَنَّهُ قَالَ لِأَنْصَارٍ : مَا فَعَلْتُمْ نَوَاضِحُكُمْ ؟ قَالُوا : حَرَائِنَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ] أَي أَهْزَلْنَاهَا . يُقَالُ حَرَئْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْرَفْتُهَا بِمَعْنَى أَهْزَلْتُهَا . وَهَذَا يُخَلَّفُ قَوْلَ الْخَطَّابِيِّ . وَأَرَادَ مُعَاوِيَةَ بِذِكْرِ نَوَاضِحِهِمْ تَقْرِيعًا لَهُمْ وَتَعْرِيعًا لِأَنََّّهُمْ كَانُوا أَهْلَ زَرْعٍ وَسَقَى فَأَجَابُوهُ بِمَا أَسْكَتَهُ ؟ تَعْرِيعًا بِقَتْلِ أَشْيَاخِهِ يَوْمَ بَدْرٍ .

(ه) وَفِيهِ [وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ حُرَيْثِيَّةٌ] هَكَذَا جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ . قِيلَ : هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى حُرَيْثٍ : رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ . وَالْمَعْرُوفُ جَوْ نَيْيَّةً . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي الْجِيمِ